الزورق الحالم

مختار الوكيل

الزورق الحالم

دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف
رسوم : منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة الطبعة الثانية

لم يكن يدور بخلدى وأنا أقدم الطبعة الأولى من هذا الديوان فى عام ١٩٣٦ وأنا بعد على أعتاب الشباب ، أننى سأحظى بتقديم طبعته الثانية للقارئ العزيز بعد هذه السنين الطوال !

ولكنها مشيئة الله سبحانه وتعالى !

ولقد ظهر بعده ديوان (موكب الذكريات) وهو يمثل مرحلة أكثر حداثة فى حياتى الأدبية ، ولسوف يصدر ديوان آخر أحدث منه بمشيئة الله تعالى ، بَيْدَ أننى ما زلت متعلقًا بقصائد الشباب الأولى ، التى يضمها ديوان (الزورق الحالم) والتى شاء الله أن تنال رضى النقاد ومحبّة الأدباء والشعراء ، واشتهرت فى مختلف أرجاء العالم العربى وارتبط اسم (الزورق الحالم) باسم الشاعر .

وتلك مشيئة الله سبحانه وتعالى فله الحمد والشكر .

ورجائى أن تظفر هذه الطبعة الجديدة من ديوان (الزورق الحالم) بحب شباب اليوم ، كما ظفرت الطبعة الأولى بإقبال شباب مصر والأمة العربية فى مرحلة شبابى !

٢٠ مايو سنة ١٩٨١ — الدكتور مختار الوكيل

مقدمة الطبعة الأولى

ما أرى أن هذا الديوان بحاجة إلى تقديم ، فلقد أعلنت عنه فى مجلاتٍ وصحف شتى منذ أكثر من عام وترقبه الكثيرون من قراء الشعر حتى لقد كادوا أن ييأسوا من ظهوره لولا أن أتاحت الظروف إخراجه إلى الناس اليوم فى هذا الثوب المقبول .

* * *

ولقد شاءت المقادير أن يظهر « الزورق الحالم » فى زمن لا يؤمن صاحبه بالكثير مما جاء به ، بل لأكاد أقول إن الناظم لم يعد يهوى الشعر كما كان يهواه فيما مضى ، ولكنه – على كل حال – لا يستخف بفلذات كبده التى نفخ فيها من روحه وسهر الليل الطويل إلى جانبها : يرعاها ويداعبها ويناغيها ويباكيها ويقاسمها مختلف العواطف ومتباين الأحاسيس .

* * *

ولقد أصيب الشاعر فى الفترة الأخيرة بالقصور عن النظم حتى أن آخر مقطوعات هذا الديوان قد نظمت فى خريف عام ١٩٣٥ ميلادى – ومن يدرى ؟ لعله قصور موقوت . . أو لعله قصور أبدى . . . وما نعلم أيهما أجدى على الشعر !

* * *

لست أدرى كيف بدأت أنظم الشعر ، ولكن الذى أدريه حقًّا أننى حاكيت بعض المنظومات المقررة وأنا لا أزال فى القسم الابتدائى ، ثم نشرت لى بعض المجلات مقطوعات وأنا فى المرحلة الثانوية . ولقد كان فى وسعى أن أجمع ديوانًا مما نظمت فى ذلك العهد ، وأستطيع أن أقول إنه ربما أرضى النقاد كصورة صادقة من صور الحداثة ولكننى آثرت التريث ولم أتعجل الزمن . وهذا الديوان الذى سيطالعه القارئ إنما يمثل طور الشباب الأول لفتى مرهف العواطف ، دقيق الحساسية ، لا ينظم إلا إذا تحرك وجدانه ، وجاشت نفسه ، وصدق فكره !

* * *

ولن تقع فى هذا الديوان على مترجمات من الشعر العالمى ، فى حين أن الشاعر قد نقل الكثير من عيون الشعر الأجنبى ، وهو يأبى أن ينشر تلكم المترجمات حرصًا منه على أن يكون هذا الديوان صادقًا فى تصوير نفسه ، وتمثيل قلبه ، وشرح عواطفه . وربما عمد إلى تلك القصائد المترجمة فجمعها فى كتاب واحد لو مكنته الظروف من ذلك .

* * *

وماذا عسى أن أقول بعد ذلك عن الشاعر ؟ إن شعره ليترجم صادقًا عن نفسه ! وإنه ليغنى عن المقدمات الطوال . .

وما أظن إلا أن القارئ يزهد فى المقدمات ويطلب الشعر .

مختار الوكيل

هَلم يانَاِى

هلُم يا نايِىَ الصغيرْ نجاوب الطير بالصفيرْ
هلم فى الفجرِ للغدير نشدو فيُصغى لنا الخرير
هلم للروض ، فالزهور أمامنا أينما نسير
تُساعف اللحن بالعطور

* * *

هلم فالكونُ فى ابتسام ومزجياتُ الأذى نيامْ
والصبحُ فى لثغةِ الغلام يحاول النطقَ والكلام
وبلبلُ الدوْح ، والحمام قد ساقطا مُسكر البُغام
والنهر يغفـو ولا ينام

* * *

ما لك يا نای لاتجيبْ إلا بشكواك والنحيب
فأىُّ كُرْبٍ من الكروب دهاك يأيها الحبيب
لعل فى مدمعى السَّكُوبْ ووَجْهىَ الظاهر الشحوبْ
ما زاد من لحنك الكئيب

* * *

فغنّ يا نای لا تسلْ وارسل أغانيك بالغزلْ
مضيئةً تخلقُ الأمل سعيدةً تقتلُ المللْ
حبيبةً تعشقُ الخجل مجنونةً تبعث القُبلَ
إن تلمس الجرح يندمل

* * *

وغنِّ يا نای للربيعْ وزهرِه الباسم الوديعْ
ونورِه الدائم السطوع ومرجه الأخضر المرِيع
وطيرِه العاشق الولوع وفجره خالق الدموع
من فضة الطلّ والصقيع

* * *

هلم يا نای بالأغانی نسری إلى مخدع الغوانی
فنُثمل الحسن بالحنان ونبهر الروح بالبيان
ونُسكر الحور بالدهان حتّى إذا همن بالأمانی
طرنا إلى ساحل الزمان . . .

* * *

هلم يا نايِىَ الصغيرْ نجاوب الطير بالصفيرْ
هلم فى الفجر للغدير نشدو فيصغى لنا الخرير
هلم للروض فالزهور أمامنا أينما نسير
تُساعف اللحن بالعطور

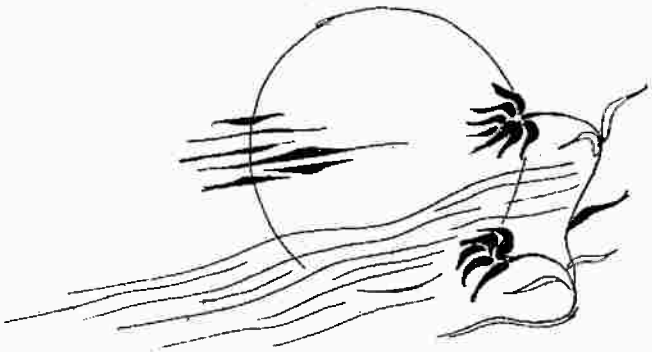

«لعل هذه القصيدة أحب قصائد الديوان إليّ ، وإن لم تكن أقوى ما نظمت . وأحسب أن ذلك الحب العظيم يرجع إلى تصويرها عهداً حبيباً إلى نفسى ، ذلك هو عهد الحب الأول ، الذى نشأ وترعرع على ضفة «الترعة المنصورية» حيث «أجا» بلدى العزيز ! فإلى معلمتى الشعر وملهمتى قصائدى الأولى التى لم تنشر ، وإلى «الترعة المنصورية» أهدى هذه القصيدة وفاءً واعتذاراً» .

الجدول الحالم

تدفقْ كشعرى بالحنـان ولا تكن
شحيحًا فهذا الزهر نشوان من ضَمكْ
ووقّع أناشيد الحيـاة على الحصى
ودعْ صادحات الطير تثمل من ثمكْ
ومرْ حالمًا ما بين عشبٍ منمّقٍ
وبين شجيراتٍ تضاحكن من حلمك
تدفق لأنت الناىُ يلهب خاطرى
وأنت شبيهى فى صداك وفى وسمكْ !

* * *

تدفقْ وثرْ وابعث أغانيك حرَّةً
ولا تخش مأفونًا يلوم ولا يدرى
ألاَ إنما الألحـان تملك منطقى
ولحنك أولى أن يُغنىَّ على شعرى
ولحنك آلامى ثوَتْ مِلءَ خافقى
سنينَ إلى أن رُعتها أنت من فكرى

ووَثبُك بين الرملِ وثبى لدى الصبى
وعهد الصبى أعلى الذى فات من عمرى

* * *

ألاَ حبَّذا كوخٌ لدَيْكَ ومرتعٌ
بشطك أقضى فيه أسعد أيامى
لقد ضقت ذَرعًا بالحياة وأهلها
وشرَّدت فى بحبوحة العمر أحلامى
ونفسى تعاف الخلق حتى كأننى
أعاشر عجماوات تسعى لإعدامى
منعتُ يمينى عن تحية فاجر
مخافة أن تدمىَ بمخلبه الدامى !

* * *

تدفقْ وانشدْ : إننى وحدىَ الذى
يعى كل ما تُلقيه من وحيه قيثارك

وغيرى من الأحياء ألهتهمو الدنى
فصموا جميعًا عن قريضى وأشعارك
لَئنْ كنتَ مغمورًا فلحنك خالدٌ
وكم ذائع الآثار يعنو لآثارك
شدونا كلانا يا غدير ، فلم أُصِبْ
سميعًا ، ولم تُلفِ المذيعَ لأسرارك

* * *

عبرتُ إليكَ اليوم ، والضوء ضاحكٌ
بصفحتك الخجلى وقد فاض بشْرُهُ
وقد هبط النسْم الجرىءُ للثمها
حدوبًا ، عظيم الشوق ، يُسكِرُ نشره
وغَرّدَ كِرْوانٌ على غصن دوحةٍ
أغاريد عربيدٍ تزايد سكْرُه
وصفَّق قلبى فى الضلوع ، محاولاً
عِناقَك كى يهمى بمائك شعرهُ

ألاَ قل عن الذكرى ، وحدّث عن الهوى
ولو أن فى ذاك الحديث شجى قلبى
وقصَّ الذى تدريه عن ملعب الصبى
وعن حيرة النجوى ، وعن لوعة الحب !
ألا قل عن الظبياتِ ما قد وعيته
لعل بما ترويه تنفى جوى الصب
وحدِّث عن الأولى حديثًا مفصلاً
فإنىَ منها فُزت بالأمل العذب !

* * *

تدفقْ وثر : إنى أُحبك ثائرًا
وقص على سمعى الهوى والتناجيا
أعد يا غديرى ذكريات قد امحتْ
لعل بها نلقى السعادة ثانيا !
فتاتىَ هذى كيف راضتْ فؤادها
على الهجر ، فارتاحت وعافتْ لقائيا

عفا الله عنّها ، هل تحيد عن الهوى
وقد كان عفًّا طاهر الذيل ساميا

* * *

وهل نسيتْ وكر الغرام ، ومجلساً
بشطك ما بين الزهور البواسم
وقد أرسل البدر المطل ضياءه
يبارك أرواحًا دنت للتنادم
وقد حبس الوصل الخجول لساننا
وأطلق روحينا الهوى كالنسائم
نطير إلى دنيا من الوهم عذبةٍ
نمرُّ بها مرًّا كأحلام نائم !

* * *

وهل تنكر الجولات فى الفجر والندى
تساقَطُ كالدرِّ المنير على ظهرى ؟!

وقد حجبت عنها الرذاذَ عباءتى
فباتت وقد ضمّت بساعدها صدرى
كطفلٍ ضعيفٍ قد ثوتْ تحت خيمتى !
مُرَنَّحة الأعطاف ، مفكوكة الشعر !
أُقبلها والطلُّ قد ذاب فضةً
فيصبح تبرًا حين يلثمها ثغرى !

* * *

لئن نسيتْ والله ما كنت ناسيًا
أحاديثنا الغرّاءَ فى هيكل الليلِ
وقد دفعت ما فوق صدرى برأسها
فملتُ وكم من خاطرٍ لاح فى ميلى
وفاضت من الثغر الأمانى طليقةً
تُعانقُ أضواء الحبيبة كالسيل
وقد سكرتْ من خمرة الحب برهةً
فلا عقلتْ فعلى ولا فهمت قولى !

تَدفقْ وقُلْ يا جدولى ها هو الضحى
قد انساب منه النور فوقك كالتبرِ
تبسمْ فهذا النسم هبّ مداعبًا
مياهك فيَّاض الطلاقة والبِشر
وإنْ كنت لا ترضى عن الحسن والهوى
لأنك تلقى فيهما غاية الشرِّ
فكنْ ثائرًا ، وارفع بألحانك النهى
إلى عالمٍ سامٍ من الطهرِ والبِرِّ !

* * *

أيَا جدولى المجهول رَددْ خواطرى
ففيها شفاء النفس من بعض أسقامى
ويارُبَّ لحنٍ عاثرٍ متكاسلٍ
يثير نبوغى أو يحفِّز إلهامى
لكم نحتُ والإعصار يعوى مدمرًا
بشطّيك والأمواه تلطم أقدامى

وقد لاح فى جوف الزعازع وامضُ
تألق نوراً من ذُرَى الكوكب السامى

* * *

ألا فَلنغن الآن للنجم ، عَله
يضىء لنا ليلاً فتمضى المخاوفُ
لقد عشت مجهولاً بشطك مهملاً
أُقاسى جحيمى دون ذنب أُقارف
نزفت دمائى فى مياهك كلها
بربك قل لى ما عسى أنا نازِف ؟!
لعل يشق النجم أسدافَ ليلنا
فتنقذنا الدنيا ، ويجدى التعارف !

تحية لأول سيّدة مصرية اقتحمت فى
الثلاثينيات عالم الطيران المجهول . وحلّقت
بطائرتها مع نسور مصر الروّاد تطلب العزّة
وتنسد المجد لمصر .

إلى لطفية النادى

قُلْ للذين استضعفوا مِصرَا :

اليوم يوم النهضةِ الكبرى !

نِمنا طويلاً عن صوالحنا

والآن قُمنا نحطم الأسرا

قمنا شباباً عزّلا قَدِرَتْ

عزماتهم أن تُرغمَ الدهرا

النصر للقوم الألى عملوا

لبلادهم لم يطلبوا أجرا

الفوزُ للشبان فى غدهم

ما دام كلٌّ يأمل النصرا

* * *

إنى لمبتهجٌ بنهضتِنا

ومن ابتهاجى أقبسُ الشعرا

قد أدهشتنى غادةٌ خُلقتْ

للحب ، تسبى القلب والفكرا

أعطى لها الرحمنُ قلبَ فتىً
فحلٍ يروم المركبَ الوعرا
هذا الفؤاد ، وكنت أعهده
كالنسم هفَّافاً قد استشرى
قد هدَّه التشريدُ فى بلدٍ
لا يستقيم لغير من أثرى
فسما إلى الأجواء مبتسماً
يبغى على إعصارها الكرَّا

* * *

أبناءَ مصر : تدافعوا زمراً
للمجد لا تتهيبوا أمرا
صبراً إذا ما الدهر عاندَنا
لن يُحرَم المجدَ الذى صبرا

تحدثي يا رابعة

أنتِ البتولْ الراهبهْ بنت ذكاء الغاربهْ
رمزُ الحظوظ الخائبهْ روح الرياحِ الصاخبه
ضوءُ البروق الغاضبه غيث الفيافى المجدبه
عِطر الورود الشاحبه ظلُّ الشخوص الغائبه
دم القلوب الناضبه وحى الأمان الذاهبه
لحن الأغانى الناعبه فجر الليالى الحازبه
مطلوبةٌ وطالبه عدوةٌ وصاحبه
مسلوبةٌ وسالبه مغلوبةٌ وغالبه
هادئةٌ وغاضبه يا وحى روحى اللاغبه

تحدثى يا راهبه

الربيع الوفي

سعيتُ إليكِ اليومَ أول من سعى
فأبصرت فيك الحسنَ كيف تجمّعا
لقد طاف بالأزهار فى الفجر ساحرٌ
فغيّر منكِ الزهر والنور أجمعا

وأظهر من هذى الرياض ملاحةً
نفاها شتاءٌ يترك الروضَ بلقعا
شتاءٌ : متى هبتْ به الريح حطّمتْ
مغانىَ من وشى الربيع وأربعا
فيأيها الساقى الذى طاف بالندى
على الزهر فجراً فى الرياض مقنّعا

رأيتكَ يا روح الرياض ، وإنْ غفَتْ
عيونٌ فلم تبصرْك بالحسن مُترعا
رأيتك فى نور الملائك ضاحكا
تطوف بأزهار البساتين مسرعا

تقصُّ عليها ما دهاك من النوى
وتخبرها أنْ قدْ تعذبتما معا
تقول لها : «يا فتتى شدَّ ما رأى
فؤادى ، وما لاقى ، وما قد تجرَّعا !
أتاكِ الشتاءُ الجَهم فى عنفوانه
فأذواكِ ، لم يرحمْ فؤادًا تصدعا
وغالبتُه جلدًا ، فلما غلبته
سعيتُ إليكِ اليومَ أسعد من سعى
فَقِرِّى فؤادًا إننى العاشق الذى
يظلُّ طوال الدهر بالزهر مولعا ! »

* * *

تساجلتما الحبَّ الطهورَ ، فهل رثى
لقلبى حبيبٌ غاب عنى وودعا ؟
أهبتُ به أن ينقذ القلب منجدًا
فلم يُسبه شدوى وولَّى وما وعى !

فياساقى الأزهار فى الفجر خمره
وياساكب الألوان فى الزهر مبدعا
ويا ناسجًا بُرْدَ المروج ، ودافعًا
إلى الحبِّ قلبًا قاسيًا قد تمنعا !
قصدتك والدمع السخين مطيّتى
وقلبى يصوغ الحزن لحنًا موقعا !
فَرِفقْ فؤادَ الهاجر المؤثر النوى
عسى أن يوافى مدَنفَ القلب طيعا

إلى جانب المدفأة...

تميل روحى على لظاها لتحتسى خمرةَ الشتاءِ
لسانَها شِمتُ والشفاها فى شعلة وقْدها شفائى

* * *

حببت لى النارَ، فهى عندى غِذاءُ جسمى ، وأمن روحى
أودُّ تقبيلها لأهدى لها القرابين عن جروحى

* * *

نِيرَانها رقصها غريبُ كمجهدٍ هده الدوار
ولحنها وقعه مريبُ ينبئ عن ضعفه اصفرار

* * *

أعدتِ لى رونقَ الحياةِ يا واحة التائه الشريدْ
وقدْت قلبى إلى النجاة بدفئك المنقذ السعيد

* * *

كم أشتهى أن أضم نارك إلى السعير الذى بصدرى
ما أسعدَ القلبَ فى جوارك ولو بِعت كل عمرى ....!

«تتراءى لى فى أمسياتى الأخيرة وأنا أرصد أحلامى فتاة خيالية شقراء تغرينى بالحب والفتنة والخيال . فإلى طيفها أهدى هذه الخفقات !» .

الزائرة المجهولة

أبداً فى المنام يطرق روحى
حـــلم جامح يفيض جمالا
أىُّ دنيا غريبةٍ ، أى سحرٍ
عبقرى ، وأى نورٍ تلالا

* * *

أى هيفاء عذبة الثغر هذى
قد تهادت مثل الملاك الكريم
هبطت جنتى ونامتْ حيالى
أترانى أحببتها من قديم . . ؟
فى يديها طرحت قلبى نقيا
كضياءٍ فى ضحوةٍ صيفية
ونسيتُ الآلام ، والقدر العاتى ،
وذقت المحبة القدسيه . . . !

* * *

ودنا وجهها الجميل ، وكدنا
نجتنى زهرة الهوى الأبديه
فهمى دمعُها ، وبلل صدرى
وثوتْ فى الفؤاد منه بقيَّه . . . !

* * *

يا ترى من تكون هذى الفتاةُ ؟
أهى من صغت فى هواها الأغانى ؟
هى شقراء إنما لستُ أدرى
أى لفظٍ يحد رسم المعانى ؟

* * *

هى شقراء ، يعلم الله ، لكن
ما اسمها العذب ، بل ومن أهلوها ؟
حرت لا أهتدى ، وأكبر ظنى
سوف أبقى محيرًا مشدوها ! !

نظرة ...

أفى كل عينٍ تعكس النور لى شعرُ
وفى كل ثغر حالمٍ باسمٍ سحرُ ؟
لقد كدت أقضى من فراهة خاطرى
ومن رقّةٍ فى القلب يعنو لها الفكر

لك الله يا قلبى ، دُهيت ولم تتب
كأنك لم يعبث بسودائك الجمر
فُريتَ وما زالت دماؤك ثَرةً
وقُيدْتَ لكنْ إنك المطلق الحرُّ

تحدثْ أيا قلبى ، وقل ، هل عشقتها ؟
وكيف وَلما يأتِ من أمرها خُبر ؟!

تهاويت إثر النظرة العذبة التى
حوت من فنون العشق ما خلّد الدهر
خفقت أيا قلبى وصفقتَ مجهَداً
بصدرى ، كطيرٍ قد أضر به الأسر

وأسمعتنى فيضًا من اللحن خالصًا
سكرتُ به ليلاً وما كان بى سكر !
وحاولت تأويل الذى كان فانبرى
غناؤك يُنسينى كما تذهل الخمر

تعشقتها يا قلب ؟ قل ، لست عاتبًا
لئن كنت قد أحببتها ، فلك العذر
فهذا الضياء المستخف الذى سرى
إليك ، رمى سهم الهوى وانقضى الأمر

رماه كما ترمى العناكب خيطها
وأزجاه فى حلم كما يُبْعَث السحرُ
فإنْ كنتَ قد أضمرت يا قلب فرحةً
فذلك ما يبديه للمنعم الحرُّ !

أعادت لك الماضى من العمر حينما
أطلتْ ، فطال اليوم من سحرها العمر !

فصفِّقْ كما تهوى ، ولا تخش لائمًا
فقد جاءك الإسعاد يا قلب والبشر
وَحَيِّ التى أولتك يا قلب سحرها
نديا كطلِّ الزهر جاد به الفجر
وقل فى هواها ما تشاء ولا تكن
شحيحًا ، فأقصى ما ستسرده نَزْر

* * *

لئن كنت لم تنعم لديها بحظوةٍ
وإنْ كنت فردًا من ألوفٍ بها مرُّوا
فيكفيك أن قدْ كنتَ مسرح نورها
زمانًا ، وفى هذا لمن يهتدى فخْر !
كأنك قد بُلِّغتَ يا قلبُ وصلها
وعاشرتها دهرًا وقد جُهِلَ السرُّ !
كأنك يا قلبى ستحيا على المدى
بصحبتها حتى يداهمك الحشر

لقيتَ الأمانى العذاب التى انطوت
تلوح وقد وشَّى جوانبها البَهْر
لقيتَ حنان الوالد الراحل الذى
ثوى ، وبقلبى من فجيعته بَتَرُ !
لقيتَ بُعَيْدَ الكَدِّ يا قلب راحةً
وبُلغتَ أمرًا لا يجود به الدهر
دخلتَ فراديس الخلود سنيةً
وجاءك يرجو أن تصادقه البدر !
وجاءتك أمواج البحار ذليلةً
وراح يغنى معليًا شأنك النهرُ
وهبَّت ورود الروض تروى الذى جرى
فقامت تباريها بأنغامها الطير

* * *

فيا نظرة خلَّدتِ فى الفن شاعرًا
ويا رب خلد يجلب النظر الشذر

أهجت بى الذكرى وقد طال نومها
وأيقظت ما قد كان أهمله العمر
عبرتِ إلى قلبى الغداة نقية
يقيك من الإغواءِ والفتنة الطهر
فنامى بقلبى ، إنْ أردت ، فإنما
فؤادى لآمالى التى تنطوى قبر !

الجمال الشاعر

اللهَ فى هذا الجمالِ الشاعرِ
ما إن تَبدَّى مِثله لناظرِ
لما دَنَا يخطر كالمحاذِرِ
خطرة حلم الخلد فى الضمائر
شربته هيمان بالنواظر
وصنته كالنور فى المحاجر
ورحت كالطفل الغريرِ الحائرِ
أُعيذه من شر كل ساحر
وَمِن هوى كل محب سادِرِ
ومن تهاويل خيال الشاعر
وصنته كالنور فى المحاجر !

قصة رمزية وطنية :

الدخيل المعتدى

أرسل الأنّات من قلبٍ أَمضتْهُ السنونْ
ومضى ينظر فى سكرته طيف المنون
حائماً فوق فراش الموت فى جوف الدجون
كبُغاثٍ هبطتْ تهزأ بالنسر الطعين

* * *

قال «يا إحسان ! ما أقصاكِ يا حسناء عنى
قد دنا منى طيف الموت فأدنىْ أنت منى
زودينى قبلةً أنسى بها آلام حَيْنى
وابسمى كالزهرة الفيحاء فى الروض الأغَنّ»

* * *

ركعتْ قرب سرير الموت إحسانُ وقالت :
«يا أبى ، ما رونق الدنيا إذا دنياك دالت؟
يا أبى ، إنى فتاةٌ ، إنْ رماها الدهر مالت
هربتْ من وجهى البسمةُ والأدمع سالت»

* * *

كفكف الشيخ دموع الخَوْد بالقبلات تترى
ورنا نحو السماء الجون والأعين شكرى
ومضى يهتف يا ربى ألاَ إنك أدرى
إن قبضتَ الآن روحى لست أعصى لك أمرًا

* * *

إنما إحسان هذى ، من تُرى سوف يراها !
من ترى غيرك يا من قد نماها وبراها
ومن المبدأُ منه وإليه منتهاها
قادرٌ أن يبسط العيش لها أمنًا وجاهًا ؟

* * *

لم يكد يهدأُ حتى طُرِقَ البابُ طويلاً
هتفت إحسان : «من يطلب فى الليل الدخولا ؟»
قال من بالباب ، «إنى أطلب الشيخ العليلا
سوف أشفيه . ، وأمحو ذلك الداء الوبيلا ! »

* * *

صاح رب البيت «أهلاً بفتى النبل الصحيحِ
افتحى إحسانُ قد طافت بنا كفُّ المسيح
سوف تنجينى من الموت وتشفى لى جروحى
عجلى إحسان هذا ، مَلكُ العطف المريح : ! »

* * *

رحبتْ إحسان بالزائر لَمّا أنْ دَخَلْ
ومضتْ فى فرحة الطفلةِ نشوى تحتفل
وأثنت لله فى فرط خشوع تبتهل
فى دعاء خالص الأنفاس معسول الأمل

* * *

وإذا الزائر كالمأخوذ يرنو للفتاهْ
مثل صوفىّ رأى فى روعة الحلم الإله
كاد لولا عقله الراجحُ يهذى بهواه
ومضى يهتف فى نجواه : «إحسان الحياة» !

* * *

وانثنى يفحص حالَ الشيخ فى صبر عجيبِ
قال : «إنى منقذٌ جسمك من داءٍ عصيبِ
كاشفٌ عنك ستار العجز ، ماضٍ بالكروب»
صاح رب الدار «قل ماذا تُرَجّى يا طبيبى ! »

* * *

قال «ما أرجوه ، إحسان الفتاةُ الناعمه
زوجةً لى فى ضفاف النيل تسرى حالمه»
صرختْ إحسان «يا جور الحياة الظالمه
كيف ترضى يا أبى أن أغتدى كالسائمه»

* * *

«ومتى كانتْ فتاة النيل تُشرَى وتباعْ
ومتى إحسان كانت تقتنى مثل المتاع ؟
يا أبى ، ما قيمة الأعمار والمجدُ مضاع !
يا أبى ، حاذر من الإفك ، أَمِطْ هذا القناع ! »

* * *

هتف الشيخ «ألاَ فاطلب إذا شئت سواها»
صرخ الزائر : «إنى زاهد فيما عداها»
وسواءٌ رضيتْ أم كرهتْ إنى فتاها
راشفٌ منها الأمانى ، ذائدٌ عنها عِدَاها»

* * *

صرخ الشيخ : «ألاَ فاذهب كما جئت سريعاً»
فأجاب الزائر الفاجر : «إنى لن أُطيعا
من يروم الآن طردى سوف أُرديه صريعا
إننى سيدٌ مغناكم ومن فيه جميعا . .»

* * *

بصق السيدُ فى وجه اللئيم الغاشِم
فهوى اللصُّ عليه فى فجورٍ آثِم . .
منشباً فى صدره خِنجرَ وحشٍ هائم
صرختْ إحسان : «يا للمستبد الظالم !»

* * *

قال «يا إحسان إنى ذائدٌ عنك الشجون
كلُّ خطبٍ يا فتاتى حينما يمضى يهون»
قالت : «اذهب سوف تصلى النار يا كفَّ المنون
ما انتفاعى بحياة كل ما فيها مهين !»

* * *

أمسكت إحسان بالخنجر وارتاحت إليهِ
وضعته بين نهديها ، وقد مالت عليه
هتفت والموت قد قرَّب منها ملكَيه
«مرحبًا بالموت صينت روعة المجد لديه»

.....

.....

لم تمت إحسان بل سارت لكهف الأبديه
حيث تبقى صورةً صادقةً للوطنيه
ومثالاً رائعًا ينفخ فى الوادى الحميه
ويرينا فى سبيل المجد كم تحلو المنيه

ليلة الأهرام....

موْثق الحب الذى صِحنا به
شهدَ الأهرام والبدرُ عليهِ
شق كلٌّ صدرَه عن قلبه
ومضى يبعث بالعهد إليه

* * *

ومضتْ أعيننا تروى الغرامْ
وتبثُّ الوجدَ وحيًا خالدا
رفرفَ الأمن عليها والسلام
وضياءُ البدر يسرى هاجدا

* * *

آه من فرصةِ لثْمٍ وعناقْ
لم تتحْ إلاَّ لسكان الجنانْ
اختلسناها ، وعدنا فى احتراقْ
نحقرُ الدنيا ، ونزرى بالزمانْ

* * *

ثغرى الصديان كم لاذ بثغرك
يرشف النورَ الذى رفَّ وحامْ
وذِراعى كم هوت تعطف خصرك
والهوى الصادق فى الأعين نام

* * *

لا تقولى ما مضى فاتَ ، فما
يطيبنى غير ماضى الذكرياتْ
أنا أهـــواك جبينًا وفمًا
وضياءً شاع فى كلّ الجهات

* * *

قلت لى ، والبدرُ للأهرام يرنو ،
وأَنَا فى سكرَةٍ مِما أرَىٰ :
«أترىَ أحببتنى أمْ أنت تحنو
مشفقًا ، أمْ ذاكَ حلمٌ فى الكرى ؟»

* * *

قلت : «أهواك ولا أهوى سواك»

ثم لاَذَ الثغر ظمآنًا بِثغرك

وطعمتُ الحب حلوى فى لمَاك

وشربتُ النور من جامات سحرك !

* * *

ثم قمنا ، وانحدرنا فى الطريقْ

مِثلَ مخمورَينِ لجّا فى الغبوقْ

ضَم صدرانا من الوجد حريقْ

وثوى فى ثغرها حلوُ الرحيق

البدر الحائر

حيران يا بدر فى الآفاق ، ملتحفٌ
بُرد السحاب كخوْدٍ خلف أستارِ
شابهتها فى الشباب الغضِّ ملتهبًا
يُتابع الحبَّ لا يخشى من النار
أجل ! وما أنت إلا ثديُها عصفتْ
به زعازع أهواءٍ وأقــدار
فثار لهفان ، قد ضمّ الوسادة فى
جنون معتسفٍ بالأمر جبّار
فلست أدرى أأودى أم وسادتُه
هى التى بليتْ من ضمة الثار ؟

يا طبيب...!

لا تقل يا طبيب أنك ماضٍ
بشحوبى ولوعتى وذبولى
حبذا الضعف والهزال دواء
لفؤادِ المشرَّد المتبول

ايه يا لحظة الوداع ، لقد جُرْ
تِ على المدْنَفِ الطريدِ العليل
قبلاتٌ مسكوبةٌ فى سكونٍ
وعناقٌ فى ضجةٍ وعويل

ودموعٌ ممزوجةٌ بدمٍ يجرى من
القلب ، مستفيض الهطول
وزفيرٌ يكاد يحرق أحشاء
المعنَّى من وَقدِهِ والغليل

وذراعٌ هوتْ تعانِق خَصراً
صِيغَ من طينةِ الضنى والنحولِ

ويدٌ فى يدٍ تُسران أشياء
بضـــغـــطٍ محببٍ وذهـول
وعيونٌ تقصُّ بالنظر الفاتر
أقصوصة الغرام الجميل
وتنصُّ الآلام تاجًا من السحر (م)
على مَفرق الزمان الجهول !

* * *

حين سار القطارُ طار صوابى
وتمايلتُ فى ذهولٍ طويل
وطغت عِلتى ، وجُنَّ جنونى
ووهتْ قوتى ، وغام سبيلى
لا تقل يا طبيب أنك ماضٍ
بشـــحوبى ولوعتى وذبولى
ثغرُها يا طبيبُ طبى فَعَجِّلْ
ببواكير ريقه المعسول !

غرفة الذكرى...

كلُّ شيء فى غرفتى يُشعل الذكرى بقلبى ويلهب الأشجانا
ذاك كرسيك الأثير كئيبٌ رائعُ الشعر لو أُتيح بيانا
ثائرٌ صامتٌ ، كقلب طريدٍ أبعدوه عن أهله عدوانا
يشتكى البعد عنك مقعده الخالى ويهفو إلى سناك حنانا
أَوَمَا تسمعينه يُرسل الشكوى أنينًا ويبعث الألحانا ؟
كلُّ شيء فى غرفتى يُشعل الذكرى بقلبى ويلهب الأشجانا

* * *

هذه الصورة العزيزة تبدى لىَ وجهًا عبدْته أحيانا
وَجْهَكِ الباسِمَ الذى يبعث النورَ وَيُلْقِى على فؤادى الأمانا
لا تقولى نأيتِ عنى فإنى أقبس الشعر من سناك الآنا
وابتسامٌ غطى شفاهك يمحو حسرات غطت فؤادى زمانا
آهِ كم تعظم الخيالات حتى لنراها تُضارع الإنسانا !
ما لذهنى وخاطرى فى ركودٍ أى خطبٍ تُرَى أصاب الجنانا
كل شيء فى غرفتى يشعل الذكرى بقلبى ويلهب الأشجانا

* * *

ذاك يافتنى فراشك خالٍ وَلَقَدْ كان للهوى ميدانا
كم هدأنا به وقد ضمنا الحبُّ فذقنا من فيضه ما حبانا
آه ، لا ينفع التأسف يا قلب وقد غادر الحبيب المكانا
يا فراش الحبيب شأنك والصمت فبالصمتُ تلهب الأحزانا

* * *

كل شيء فى غرفتى يشعل الذكرى بقلبى ويلهب الأشجانا
صدحاتُ الشعاع تُثمل روحى وتثير الشعور والوجدانا
طالما كنتِ تطربين وقد ألقتْ أناشيدها الرقاقَ الحسانا
والنسيم الخفيف يهفو من الشباك فرحان يحتويك احتضانا
إنه أيقظ المشاعر لما دخل الآن غرفتى سكرانا
إيه شباكى العزيز هدوءاً وتمهلْ ولا تذب تحنانا
كنتَ مرعى آمالنا . ومطيراً للتناجى ، وموئلاً لهوانا
أى شيءٍ تُراه آلمك اليوم فأمسيتَ ذاهلاً حيرانا ؟
أترى أنت ثائرٌ لنوانا ؟ إننى ما حفلتُ قطُّ نوانا
لجدير بك التناسى أيا شباكُ فاهدأ ولا تكن لهفانا

واقفل الآن صدرك العابد الحبِّ وحصِّن من الهوى الآذانا
لا تكن طاهر الغرام عفيفًا . كذِبَ الحب فلتكن شيطانا !

* * *

كلُّ شيء فى غرفتى يشعل الذكرى بقلبى ويلهب الأشجانا !

* * *

كل شيء يؤرِّق الداء فى نفسى ويحيى فى مهجتى ما كانا !
لست أَسْطيعُ أن أعيش على ذكرى تميت الفؤاد آناً فآنا
لا ولا أستطيع أن أبعث النجوى لقلب برى العهود وخانا
بيد أنى لا أستطيع فكاكًا منك يا غرفتى ولا هجرانا
فابعثى ما أردتِ ذكرى غرامٍ قد تولى وأرِّقى الوجدانا

(في مساء الاثنين ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٤
أحس الشاعر أنه مقارب نهايته ومشارف الشاطئ
فكتب هذه الأغنية مناجيا ملك الموت وقد رفرف
فوق رأسه شبحه الرهيب).

إلى السماء

عجّلْ بربك طِرْبِي إنى كرهتُ البقاءْ
مللتُ دقاتِ قلبى تصوغُ لحنَ الفناء
أطير كيما أُلبى نداء ربَّ السماء
وأنت تطفر قربى تُضفى علىّ الضياء

* * *

تعالَ ! عجّل ! وخذنى إنى فقدتُ اصطبارى
والسهدُ أيقظ حزنى والحزن أشعل نارى
تعال ! لا تمض عنى إن كنتَ تأبى انتحارى
قربْ جناحك منى يا مطفئ الأعمار . . !

* * *

قد طال لُبثى وحيداً فى عالم الأشباحِ
أهيم فيه شريداً مُمزقًا بالرماح . . . .
إنى أريد وجوداً أشيم فيه انشراحى
أُردُّ فيه سعيداً كالطير وقت الصباح

* * *

تعالَ يا صِنْو روحى تعال ، فالليل ساجِ
اصعد بقلبى الطليحِ إلى عُباب الدياجى
وطف بروحى السبوح على إله التناجى
واجعل هناك ضريحى فى جانب الأبراج

* * *

يا ما أُحيلى انتهائى والطير تُرجى الأغانى
سبوحةً فى الفضاء فيّاضةً بالحنان
فأختفى كضِيَاءٍ محطمِ الألحان
والليل يطوى ندائى والريح تذرو كيانى

* * *

لن يُشغلَ الناسَ أمرى فكلُّ ميتٍ سينسى
وليس فى ذاك ضيرى إذْ قد تطهرتُ نفسا
لَئِنْ قسوا عند ذكرى فإن روحِىَ أَقْسَى
أو حقّروا شأن شعرى سموتُ معنىً وحِسا

* * *

تعال يا موتُ خذنى عجِّل ! فديتكَ عجِّلْ !
قد ضاعف العيش حزنى فنَجنى لا تؤجل . . .
عَلاَمَ جئتُ لأبنى فى عالمٍ من تعلل
هيا ، تقدمْ بحْبنى واصعد بروحى وهلل

العمر حلم

أستعرض الماضى وما هدَّنى
فيه من الهمِّ ، فأبكى دَما
وأرسم الآتى هناءً ، وما
رسمىَ إلا وحى فكرٍ سَما
ما حيلتى والفكر فى معزلٍ
عن عالم من بطشه أظلمَا

* * *

قد أرجفوا – يا بئس ما أرجفوا –
أنَّا رجالٌ نجهل العالمَا
إنْ كان فى تغريدنا جهلُنا
فما أحبَّ الجهلَ ، ما أكرما . . .

* * *

العمر حلمٌ مستطيلٌ ، فما
أسعدَ مَن يقطعه حَالِمَا

لا تنكروا ضربى به شادياً
فى حيثما غيرى مشى واجما
قابلتُ من دنياى تجهيمَها
وقابلتْ منى فمًا باسما
يئستُ من إشراقِها برهةً
وملَّت البسمةَ تعلو الفما
ويحسب الأغرار فى بسمتى
نشوةَ محظوظٍ بدا ناعما
والبسمةُ الحيرى بقايا أسىً
فى نفس محروم هوى حطَّمَا !

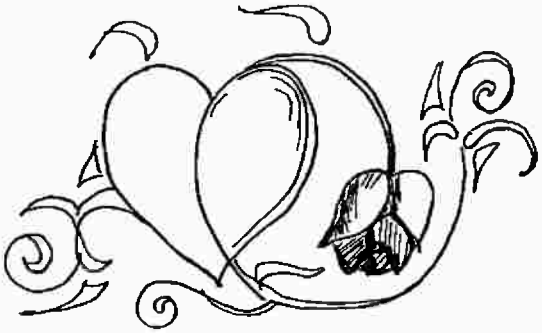

لحظة في الجنة

قد نهزنا الصفاء منها اختلاسا
وشربنا من راحتيها الكاسَا
ولثمنا مِنها الثمارَ الدوَانى
وضممنا أُملودَها المِيَّاسَا
ورشفنَا رحيقها ، فَطهرنَا
وَطَرحنا الأوزار والأدجاسا
وشفينا من وجدنا ، وَتغنى
قلبُ من ناح فى هوَاكم وقاسى
وهزمنا عذولنا ، ولقد كان (م)
مريدًا ما بيننا خنَّاسا
كم تمنى لنا الفراق ، وشاءت
قدرةُ الله أن أراكِ اختلاسا

« . . . لقد وهبته هذا الجمال الناعم الجديد . وكانت هى التربة التى نمت فيها أزهاره الغريبة . بيد أنها – هى الأخرى – قد راعها أن تنبت فيها مثل هذه الأزهار؟» (من قصة «المخطىء» للشاعر القصصى الإنجليزى الكبير د. هـ. لورانس)

الهلال النائم

لم يزل يقرع النوافذَ طلٌّ
أطلقته نافورةٌ فى السماءِ
والضبابُ الكثيفُ يسرى مع
النَّسمِ الهوينا فى ساحة الجوزاء
وأنا أجتلى جبينك بدراً

مشرقًا فى غياهب الظلماء
لاثمٌ ذلك الجبين وقد
أمسيت فى سكرةٍ من الأضواء
لاهث أمزج التنفسَ بالضـ
ـوء ، وأطويك لدنة الأعضاء

ظامئٌ ، لا أملُّ من متعة الحب
وإن كان فى المتاع فنائى
راغب أن يدوم هذا العناق الحـ
ـلو للبعث ، لا لبعث ذكاء !

حائر ، مجهَد ، وقد ودع النوم جفـ
ـونى ، واستيقظت أهوائى

* * *

إيه يا واحة الفؤاد المغنَّى
وملاذ الخواطـــر الهوجـــاء
لكفى القربُ منكِ نعمى ، وحسبى
لَثم هذى الأضواء لثمَ الهواء !
إن جسمى ظمآن ، والروح لهفى
لســناك المشعشع الوضّـاء
حبذا أنت تطفرين مع الحـ
ـلم بكونٍ من الخيالات نائى
تُرسلين الأنفاس وسنى كعينيك
على وجـنـتىَّ كالأنداء !
وأنا جاثم حيالك أرعى
كترك الحى رعية البخلاء

لاهج بالصلاة طوراً ، وباللهفـ
ـة حينًا ، وتارةً بالغناء
هاتفٌ كالصغير بالشعر تسبيحًا
بحمـدِ الملاحـةِ العـذراء

* * *

أبدًا أرتجيك يا حاجةَ الرُّوح
عزاءً فى النكبةِ النكباء
إنَّ يومًا أقضيه عنكِ بعيدًا
لهو يومُ الهلاكِ ، يوم انتهائى

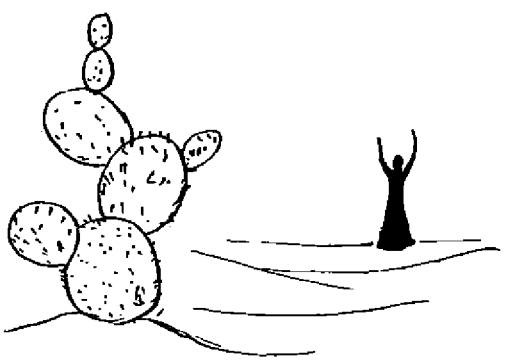

بين الجسم والروح

خلصتُ من قيد جسمى وكان قيدًا وثيقًا
وطِرْتُ فى الجو روحاً تبغى مكانًا سحيقا
جعلتُ همّى الوصولا لكنْ جهلتُ الطريقا
حرية الروح هذى قد جَنَّبَتْنى الرحيقا
لهفانُ للجسم أبغى منه المتاع الرقيقا
إنْ كان فى الجسم قيدٌ فالروح تُورِثُ ضيقا

* * *

إليكِ يا أمنا الأرض قد رجعتُ مشُوقا
أنت الصديق إذا كنت قد فقدتُ الصديقا
نهلتُ منك الرحيقا وذقتُ فيك الحريقا
وفيك جسمى سيثوى محطّمًا معْروقا . . . !

(قال فاخرج منها فإنك رجيم)

(قرآن كريم - سورة الحجر)
من الصلصال والطين المهين
براه الله فى فجر الزمانِ

كريم الخلق وضاح الجبين
كبير النفس ، فياض البيانِ

* * *

ونادى فى الملائك : «يا عبادى
خلقتُ اليوم سيدكم جميعا
عظيم العقل ، موفور السداد
نقى القلب ، أوابًا مطيعا»

* * *

سجودًا يا ملائكتى سجوداً
لآدم أقوم الأرواح طُرًّا
أمرتكمو فمن يعصى جحودا
جعلت له جهنم مستقرا»

* * *

فخرُّوا يلثمون الترْب خوفًا
وحيوا طلعةَ النجم الجديدِ

وزفوا شعرهم حبا وعطفًا
وضجوا بالغناء وبالنشيد

* * *

فيالك من نشيدٍ عبقريٍ
تُغنيه الملائكُ فى السماء
لآدم والد الخلق السرى
ومبعوث الهداية والضياء !

* * *

مضى الأملاك رِتلاً مستطيلا
يزفون التحايا من بعيدِ
سوى إبليس قد رفض المثولا
وجاهر بالعداوة والكنودِ

* * *

فصاح الربُّ فى غضبٍ شديدِ
«ألا فاسجد كما سجد الجميعْ !

فقال لربه : «أُزجى سجودى
لوجهك لا لمخلوقٍ وضيع !»

* * *

«من الحمأ المهين قد ابتدعته
فكيف أذلُّ للحمأ المهينِ !
وللصيد الملائك قد رفعته
فتوجتَ السنى ممسوخَ طين !»

* * *

«ألا يارب . إنى قد عبدتُكْ
وإنى خير خلقكَ أجمعين
وفى علوىٍّ خلقى ، قد عرفتك
ولست أرى لخلقى من قرين»

* * *

«فلا تُثقلْ علىَّ فأنت أدرى
بما قد قام فى نفسى الأبيهْ

ولا ترهق نُهاى . فإن شرا
عميمًا يغمر الروح النقيَّه »

* * *

وإنى قد عصيتك يا إلهى
لأنك سُقتَ لى أمرًا عصيا
وهذا الشرُّ يقبع فى شفاهى
ليلعن ذلك المسخ الزريا »

* * *

ولما كفَّ إبليسٌ تعالتْ
رياح السخط تزأر والرعودُ
وصاح الربُّ والأكوان مالت
« لُعنتَ فأنت شيطان مريدُ »
« لُعنتَ ليوم بَعثك يا رجيمُ
فغادرْ جنّتى واضرب شريدا

فدارك آخر الدهر الجحيم
تُلاقى عند ساحتها الخلودا !»

* * *

«ألا فاذهب كما تبغى كفورا
فإنى قد نذرتُك للسعيرِ
وطرْ وازج المآثم والشرورا
إلى رُجعاك فى اليوم الأخير»

* * *

«أيا إبليس ، هل تعصى كلامى
وإنى من براك سنىً منيرا ؟!
ألا فاهبط كمشبوب الضرام
وكن ويلاً وشرا مستطيرا !»

* * *

وغاب النور فى جوف الظلامِ
وهاج اليم مرهوبَ الضفاف

وصاح الشرُّ من خلف الغمام
«بدأت بهذه الدنيا طوافى»

* * *

«طُردتُ من الجِنان وكنتُ فيها
عظيم القدر محسود المكانِ
كفرتُ وكنت أوابًا نزيها
وعدت بحسرتى أرثى زمانى»

* * *

«ألا فلأهدم الخيراتِ طرًا
وأبعث خلف آدم حبلَ غَيى
محالٌ أن أُضيع اليوم قصرا
وأتركه لذياك الغبى!»

* * *

وما زال الرجيم له تبيعا
عظيم الصبر، موفور الذكاء

وآدم ، صاغه المولى وديعا
جهولاً بالمكاره والدهاء

* * *

نفاه عن الجِنان وراح يغوى
ذراريه على مَرِّ العصور
ليخرجهم عن التقوى ، ويمضى
بهم للنار فى يوم النشور

يـائم ...

قد مزقتْ صدرَها النبالُ
وهـدَّهـا السُّـقـم والهزال
لبيك يا مصر ، لا تُراعى
فِدى لك المال والرجال

يا أُم لا تجزعى ، فإنا
نقضى ليبقى لك الجلال
من نيلك الكوثر احتسينا
سلافـةً سُـكـرُهـا حلال
تطوف بالفكر فى فجاجٍ
يقصر عن نقشها الخيال

وتدفع الروح فى صَعبدٍ
من عالم الوَهْم لا ينال
أرْوَع ما قد لَمَسْتُ فيه
حُرِّيَة صاغها الجَمَالُ

لبيّكِ يا أُمُّ هاك قلبى
آليتُ لن يهدأ النضالُ
هيَّا إلى الموتِ يا فؤادى
أو يُصْرع الظلمُ والضلاَلُ

* * *

ما أكثر الأمنيات عِندى
تجرى وما ضمها مجال . . .
يضيق دهرى عما أُرجِّى
أيسر ما أنشد المحال !

الوادي الحزين...!

خيمَّ الصمت على الوادى وغشَّاه الحِدَادُ
وخلا الوادى من الحس كأن الناسَ بادوا
أين ربح المجد والقوة – بل أين الجهاد ؟
أين عهدٌ تُوجوا فيه على الدنيا وسادوا ؟
أفليسوا هم بنو القوم الأُلى فازوا وشادوا ؟
الأُلى دانتْ لهم دهراً عبادٌ وبلاد . . . ؟
خُذِلَ القوم ، فما فيهم وفاءٌ واتحاد . .
فشل القوم ، فمن بينهم فرَّ الوداد
وفشى الباطل فيهم ، فهو محبوبٌ معَاد . .
وتولى العقل والحكمة عنهم والسداد
وتولاّهم شقاقٌ ، وخصامٌ وجلاد
رب سار الشر فى الناس حثيثًا والفساد
فيهمو كِبْرٌ وجهلٌ ، وانحلال وعِناد !

* * *

يدّعون العلمَ والجهل لهم كنز تلاد

وإذا قيل لهم هذا طريق العلمِ حادوا
يحسبون العمرَ لهوًا وتصاويرَ تُعاد
فمضوا فى غَيهم إنْ نضب الكأس استزادوا
قد نسوا أن حياة المرء فى الدنيا جهاد
ونسوا أن طِلاب العلم والمجد رَشاد
ونسوا أن دم الشبان للاوطان زاد
ونسوا أن الذى ينعم فى الأسر جماد !
ونسوا أن الذى يسكن للضيم يُقاد . . . !

* * *

عَبَثًا يحتضر الحقُّ ، متى قاموا فذادُوا
لو أرادوا خير مصرٍ لتسنى ما أرادوا . .
لو أفاقوا من كراهم ، وافتدوا مصر وجادوا
لبنوا «للنيل» فوق النجم أهرامًا وشادوا !

في الريف بعد عام

هذا هو الريف الحبيب
فأين أين مضى حنينكْ
ما كنت ترقب حسنَه
إلا وَتَقْبَسُهُ فنونكْ

* * *

يأيها الريف العزيز (م)
لقد شجتْ قلبي شجونك
اليوم مالكَ باكيًا
كالطفل قد سحّت شئونك
واليوم مالك صارخًا
كالثاكل استشرى جنونك
هذى المحاسن فيك أضحت (م)
شائهاتٍ ، لا تزينك
مَدَّ الخراب رواقه
فيها ، فضجَّ لها أنينك

فبكيتُ لمَّـا أن شهدتك (م)
فى الأســى ذبلت جفونك
ونظرت من خَـلَل الدموع (م)
إلـيك عَلى أسـتـبـيـنك
فـإذا بســجنٍ مـظـلـمٍ
والـزراع المضنى سجينك

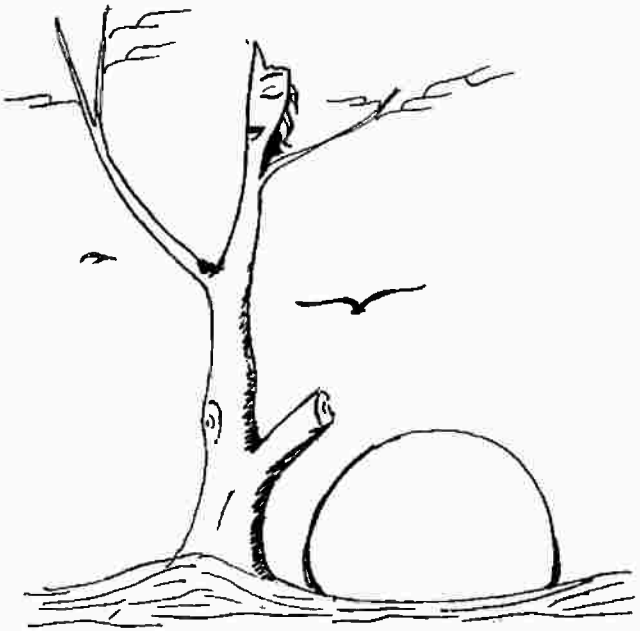

«ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبين شاعر الشباب التونسى أبى القاسم الشابى بمدينة تونس» .

ذكرى الشابى

يا صاحب الناى الذى أنغامُه فِتنُ الربيعْ
ومحرك الآمال والآلام باللحن الرفيع
ومعانق الشفق المذهَّبِ فى خيالاتِ القصيد
ومقبل الفجر المنور فى ابتسامات الوليد !
ومصاحب الأطيار وهى تجوب آفاق السماء
ومصادق الأفكار وهى سبوحةٌ تطوى الفضاء !

* * *

عجبى لصمتك والصباحُ ضياؤه يغرى الفنونْ
والصادحات الوادعات طفرن ما بين الغصونْ
ونسائم الصبح البليلة أقبلت تزجى الضياءْ
وتُحيل دنيا الصمت دنيا للتناجى والغناء !
ولأنت غرّيد الحياة وأنت غريد الخلود
فاسمح وشنِّف روحنا بغنائك الحىّ الجديد !

* * *

ماذا ؟ ألا لحنٌ ؟ ألا شعرٌ ، ألا بعض الغناء ؟

ماذا دها الناى الحنون فصدَّ عن هذا النداء ؟
زمَّ الشفاه فلن يفرَّ اللحن من هذى الشفاه
ومضى إلى وادى الخلود مودعا وادى الحياه !
وصدى الغناء العذب منه مالئٌ رحْب الوجودْ
فى الـغـاب ، فى الشـطآن فى الـغيران ، مـا بين الـورود !

* * *

فى الأمسيات الحاليات ببسمة البدر البديع
فى الفجر والطلُّ المفضّض يلثم الزهر الوديع
فى موجة البحر الغضوب تعانق الصخر القديم
وتقبل الرمل المذهَّب قبلة الحب العظيم
فى نسمة الصيف الرشيقة وهى تجتاز المروج
تروى الهوى للزهر ، وهو يميس فواح الأريج

* * *

ماذا ؟ ذهبت ولست تنوى رجعة بعد النوى
كذب الألى يروون هذا الزعم ما بين الورى ؟

بل أنت لم تذهب . . . وهذا الناى يشجى السامعيه
ألحانه عجبٌ ، بها يسمى الزمان نهى بنيه !
تبقى مخلدةً على الأحقاب فى كل البقاع
يشـدو بها ناس وجنان وطير وسباع !

الزورق الحالم

إلى الضفافِ البعيدهْ يا زورق الـــذهبىّ
اذهبْ بروحى السعيدهْ لِوَكْـرِهـا الأبـدىّ
على تخوم الوجودْ !

* * *

سكرتُ من جامِ شَعرٍ يرفُّ بين شِفاهى
وتهتُ مِن فيضِ سحرٍ يهفو كوحى الالهِ
بالنورِ والظل يضفو فى حسنهِ المتناهى

* * *

مالتْ عَلى برأسٍ مـكـلّـلٍ بـالـنضـار
وعربدت عند صدرى بِمُبْهَمِ الأســـــرارِ
فَجنَّ حبى بقلبى وغاب عنى اصطبارى

* * *

قـبّـلتهـا بـعـيـونى فى ثغرِها الرفَّافِ
وقلتُ لما تلاقتْ أبصارُنا فى الطوافِ :
هاتى شفاهَكِ هاتى ! وَقرِّبى ، لا تخافى !

الشعرُ منك دَفوقُ والشعرُ قلبي الخفوقُ
والشعر شعرٌ جميلُ والشعر وَجهٌ طليق
والشعر ثغرٌ ندىٌّ أذوقـــه فـــأفـــيق

* * *

إلى الضفافِ البعيدَهْ يا زورقي الذهبي
اذهبْ بروحي السعيدهْ لوكـــرهـــا الأبـــدي
على تخوم الوجودْ !

* * *

يا حسنَ ليلِ الوصال – لو أن وصلاً يدومْ – !
عانقتُ جسم الجمالِ فيه ، وشمتُ النعيمْ

* * *

يا زورقي قد تعبنا وما بلغنا الضفافْ
والموت أني ذهبنا يرنو ولسنا نخاف !

* * *

الموت ؟ هل هو إلا نومٌ هنيء عميق !

يعانق الروح ليلا فلا تعى أو تفيق !

* * *

يا موت جئنا نُغنّى إليكَ فوق العبابِ
وقد أطلنا التمنى فلا تطلْ فى الغيابِ

* * *

الحسن والشعر عندى فى زورقى والغرامْ
كل تقدمَ يهدى أشواقه للحِمامْ

* * *

يا موت فاهبطْ إليها جذلان ، وقتَ الأصيل
وابسم وردد عليها لحنَ الفناء الجميلْ !

* * *

إلى الضفافِ البعيدهْ يا زورقى الذهبى
اذهب بروحى السعيدهْ لوكرِهَا الأبدى
على تخوم الوجود !

* * *

خلصتُ مِن ذكرياتى ودَّعت آلامَ حيى
سِيان عندى حياتى والموت ما دمتِ قربى

* * *

زَوْرَقنا مِن نضارْ شِراعنا مِن شعاع
غرامنا مِثلُ نارْ مشبوبةٍ فى يَفاع

* * *

الموج ينشد شعرى فى نغمةٍ عبقريه
وفوك يلثم ثغرى فى لهفةٍ أبديه !

* * *

والشمس ترنو إلينا من وكرها فى الأفق
غَيْرى ، تصبُّ علينا شعاعها ، كالحُرق

* * *

يا شمس ! لا تحسدينا إنَّا سنمضى هباء
ونعمةٌ تحتوينا مصيرُها للفناء !

* * *

هذا الضياء ، إذا ما هجعتِ يهرب منَّا
وزورقُ الشعرِ إمَّا تهوينَ يغرق حُزنا

* * *

إلى الضفافِ البعيده يا زوق الذهبىّ
اذهب بروحى السعيده لوكرها الأَبدى
على تخوم الوجود !

* * *

يا زورقًا فى الدموع لغير قصدٍ يُسيْر
سئمتُ منك النزوع إلى خفىٍّ الأمور

* * *

أرهقتنى بالنواح أسقمتنى بالخيال
أتخنتنى بالجراح سلمتنى للجمال

* * *

علمتنى ما الغرامْ سلّحتنى بالبيانِ
صيرتنى فى الأَنام رب الهوى والحنان !

كلفتُ بالحسن ، أرعى أطيافه ظمآنا
وهمتُ بالثغر أسعى إليه آنا فآنا !

* * *

يازورق لستُ أدرى علامَ أهوى الشفاه
لئن تبينتَ سرى كشفتَ سر الحياه

* * *

احلم كما شئتَ ، إنى يا زورق بِتُّ أحلم
وَبِتُّ أرقبُ حينى وخاطرى يترنم !

* * *

إلى الضفاف البعيده يا زورق الذهبى
اذهب بروحى السعيده لوكرِها الأَبَدى
على تخوم الوجود !

عندما تغضب موسيقى حياتي

عندما تنضب موسيقى حياتى
ويموت اللحن فى ثغرى الحزينْ
عندما تُسجن فى الرمس رفاتى
عندما يهدأ حقد الحاقدين

عندما يهمد فى صدرى حنينى
عندما ترقد فى صدرى الشجون
عندما تُقبر أحلام فؤادى
عندما تلحد آلام السنين

عندما تبرد نيران شبابى
عندما تخمد لذاتى المنون

عندما تستمرئ الديدان جسمى
عندما أرجع للأصل المهين...
سوف أحيا فيكِ يالحن خلودى
سوف أبقى فى نفوس القارئينْ

سوف أحيا فى سموات خيالى
فكرةً تفتن ألباب القرون
سوف أغْدُو نسمةً حالمةً
نشرُها يمسح آلام الحزين !
سوف أبدو شفقًا ، لا ينثنى
يفتن العين ، ويغرى الناظرين !
سوف أبدو زهرةً ضاحكةً
عطرُها يبعث فى القلب الجنون
سوف أغدو ديمةً صالحةً
تهب الخصب ، وتروى الظامئين
سوف أغدو دوحةً فينانة
تغرس الظلَّ لغرثى منهكين
سوف أبقى الحلم فى وهم الصبى
يرسم الدنيا له شتّى الفتون

سوف أبقى فى نهى الحسن الهوى
يوقظ الآمال فيه والحنينْ
سوف أبقى سجعةَ الطير ، إذا
نامت الدنيا وغشَّاها السكون
سوف أغدو خفقة القلب ، إذا
هام بالحب وأوراه الأنين
سوف أبقى بعدُ موسيقى الهوى
سوف أبقى بعدُ مسلاةَ الحزين
سوف أبقى بعدَ موتى كوكبًا
يرسل النور هدى للمدلجين
سوف أبقى نعمة خالدةً
سوف أحيا هاديًا للعاثرين !!

العـــائدة

وعائدتى والداءُ أنشب ظفرَه
بجنبى ، والموتُ الكريه قريبُ
تقولُ ، وفى العينين ترقص أدمعٌ
وفى الصدر منها خفقةٌ ووجيب

وفى الثدى منها وثبةٌ بعد وَثْبَةٍ
وفى وجنتيها صفرةٌ وشحوبُ
وفى الصوت موسيقى الشقاء خفيضة
يؤرثها عند الصموت نحيب

وفى الثغر بسماتٌ كذاب ، كأنها
سرابٌ على بيد الزمان يجوبُ !

« أما من دواء ذقته فاستغثه
وحطَّم ذاك الداءَ فهو حريبُ ؟
أما من طبيبٍ ، ناضج الرأى ، بارعٍ
يقول لنا إن الشفاء قريبُ ؟! »

فقلت لها : « مابى إلى الطب حاجَةٌ
ولكنما القبلات منك طبيبُ ! »
وأسرعت أُدنيها إلىّ ، معانقاً
أقبّلها فى ثغرها ، وتجيبُ !
وألثمها فى العين ، والشعر ، واللمى
وَيُثْمِلُنى منها شذًى وطيوب
وأهصر ذاك الخصر وهو معذبى
وألمس ذاك الثدى وهو حبيبُ
وغادرنى الداء الذى هو متلفى
وأمسيتُ والقلب الجديب طروب !

* * *

ولما هدأنا بعد لأيٍ ، وأقبلت
تعاتب قلبًا للحياة يثوب
رنتْ فى حنان ، ثم قالت : « بهرتنى
ألا إن ذاك الداء منك مريب !

لعمرى لأنْ أمسيتَ ظمآن ، مصحرًا
مريضًا ، لما حَنَّتْ إليك قلوب !
وكيف ؟ وأنت اللاثمُ الغيد عنوةً
ومجدبَ روض الحسن وهو خصيب
وأنت الذى ماحنَّ قطُّ لمسكرٍ
سوى مسكر بين الشفاه يذوب ! »

* * *

فقلتُ لها : خلِّى الملامةَ ! إننى
أخو صبوات ما لهن غروب ! »

إلى صورتها الحبيبة

ياصورة قد عبدت فيها صورة من أبدع الوجودْ
أنتِ التى قد ضمنت خلدى بوحيك الباسم السعيد

* * *

أعيش فى عالم الدنايا سأمان من حصة العبيد
الداء ياويلتا ، غزانى بجيشه الساغب المبيد
والصحب ! أواه من صحابى لم يرأفوا بالفتى العميد
ياليتهم حين أهملونى لم يطلقوا الهجوَ كالرعودْ !

* * *

ياطلعةً قد لمحتُ فيها تهللَ الوردِ فى الخدود
وبسمة قد قبست منها بشائر العالم الجديد
أموت والنور منكِ ضافٍ على دُجَى قلبى الشريد !

* * *

ياما أحيلى الممات ، لولا مرارة الحبس فى اللحود !
كم هاجسٍ ضج فى خيالى وثار فى خاطرى البليد

وأنت يافتنتى أمامى وبين كفىّ كالوليد !

* * *

غفرتُ كلّ الذى دهانى فى عالم الظلم والكنود
ببسمةٍ منك لاترائى ونظرة تضمن الخلود

ثورة ....

ماذا أصبت من الحياه
بعد الذى عانيت من جهد ؟
كلٌّ قد استوفى مُناه ؟
وأراك يا محزون فى كبد

* * *

وافيت للدنيا الكئيبة واجما
وضربت فيها مستخفا حالما
حملتْ شفاهك بسمة المجدودِ
وثَوَتْ بصدرك غمة المكدود !

* * *

ثار فى وجهك الأنام وظنوا
حينما طُهرت نفساً
إن فى عقلك مسا
ليتهم بالجمال والحق جنوا !

* * *

تُبَّعٌ للضلال عاشوا دهوراً
فى الظلامِ .
ملأوا الكون ضجةً وغرورا
بالكلام .

* * *

كلُّهم ظمآن
والسرابُ الغرور يُشرق نورا
مالئًا مهجة الغبىّ حبورا
مُسكر الألوان

* * *

قد عب من وهمه الجهال فى خبلٍ
وبقوا عطاشا سغابْ
عاشوا الحياةَ على خيطٍ من الأمل
حتى يحين الحساب

* * *

إلى التمتع بالدنيا وبهجتها
بَدار يا نفسْ
لكم تعففتِ عن تدنيس فتنتها
فى فرصة الأمسْ

* * *

إلى متى تصدفين
عن عالمٍ بضروب الحسن مزدانِ
الحق فيه غبينْ
والمجد للذئب والإجلال للجانى
هيَّا كما ساروا
ما نحن إلا فقاقيعٌ من النزق
تطفو على سطح لجىٍّ من الحُرق
تلهو به النارُ

ليلة النيل

بين جنبيه خافقٌ مشدوه
ناطقٌ كلما تعثر فوه
هاتفٌ فى الدجى بلحن شجى
ليت من يعذلونه سمعوه

ذاكر ليلة الوصال على النيل (م)

وأمواجه تكاد تفوه !
والهلال الوديع نايٌ عجيبٌ
لحنه النور بالشذى عطَّروه !
وجرى الفُلك والشراع شعاعٌ
من سنى الخلد والهوى يحدوه

* * *

ليلةَ النيل ! إن ذكراك سلوى
لفؤادٍ قد غاب عنه أخوه
كان يشكو له سهادَ الليالى
فلمن يا تُرى إذن يشكوه ؟

النوى

لما مضيتِ مضى السرورُ ، وخلتُنى
فى عزلتى شبحًا من الأشباحِ
خلَّفتِ لى الصمتَ الممضَّ ، ولوعةً
بين الجوانح جمة الإفصاح
وحسبتُ أنى فى جحيم خالد
أهفو إلى خلد هنالك ضاح
يا ما أمرَّ الهجر ، لولا أنه
لمعارج الإبداع خير جناح !
ظلموا النوى لما نسوا آلاءه
ونواك كان مَعين شعرى الواحى
لولاه ما أرسلتُ فيكِ ملاحنى
غراء كالأنداء أو كالراح

وَأَ شْقائِ...

وا شقائى من الفؤاد المرائى
يلبس البشر وهو جمٌّ العناء

كاتمًا حبه الذى أرقص الـ (م)
ـشعر وأشجى عواطف الشعراء
حابسًا دمعه عن الناس طرا
ملقياً بثّه إلى الظلماء

ضاحكًا تارةً ولا ضحك المجنـ (م)
ـون من بسمة المنى الحمقاء
والهوى ! ما الهوى إذا كانت الـ (م)
ـعقبى فراغًا مخيما كالفناء !؟

وفراقًا يهيم فيه فؤادى
باعتزال الحياة والأحيـــاء
ويك يا قلب ، قد كفى ما بذلنا
أو ما زلت راغبًا فى البقاء ؟

قد لعمرى دفنتُ أحلام عمرى
وعبرت الحياة فى استهزاء
زورقى لم يعد يهاب المنايا
ثاويات فى لجة الدأماء
وزئير الأمواج أمسى غناء
ملء سمعى ، أحببْ به من غناء

* * *

حبذا أنت يا غرام مسجى
ميتًا بين هذه الأنواء
جاريا للضفاف والموج يبكى
فى جنونٍ والريح ذات عواء
وأنا أبعث القريض مزامير (م)
غرامٍ سحرية الأصداء
ذات لحنٍ معانق للقضاء
ذات سحر منمق الاغراءِ

ذاك لحن الغرام يسمو على الألحـ (م)

ـان طرا بجرسه الوضاء

وهو ما يبتغيه قلبى ختامًا

لغرامٍ لقيت منه شقائى

* * *

إنما الأمر ليس طوع فؤادى

هو طوع العواطف الهوجاء

هو طوع الأنفاس حين التدانى

هو طوع المحبوب عند اللقاء

* * *

كم مضى منذ أن نأيتِ ولما

يقض حبٌّ يمور ملء دمائى

ما نسيتُ الهوى ، ولا أنا سالٍ

يا حياة الفؤاد عهدَ الوفاء !

حيث كنا ، والكون طرا جنينٌ
فى شفاهٍ رقيقة لعساء !
والهوى نحن ، والهوى ما نغنى
والهوى حظنا من الأسماء
والشباب المجنون نحن إذا ما
صرخ الحب صرخة الأهواء !

* * *

أنا أنسى ؟ كلا ، وكيف ؟ وعمرى
كله حبك العصىُّ الدواء
لست أُشفى منه ، ولا أنا أشكو
برحه بل أُعيذه من فناء
رجع الدهرُ باللقاء كريما
وهو قد كان أبخل البخلاء
لست أثنى عليه يافتنة النف (م)
ـس وإن كنت أسعد السعداء

حبذا نحن فى لقاءٍ عجيبٍ
ضمنا الحب فى ظلال الصفاء
كذب المرجفون ، قد أصغروا الحـ (م)
ـب فقالوا مصيره للعفاء !
لست أخشى الرقيب بعدُ . وماذا
صرت أخشى من أعين الرقباء ؟
قبلةٌ منك زاد دهر طويل
أترعيها بالنور والأنداء
وابعثيها فى ثغر حبك برءًا
لفؤادٍ مهيئ للفناء !
ما علينا إذا اجتمعنا مع الحـ (م)
ـب ، فطرنا من نشوةٍ فى الهواء

وحي الظمأ

خُلق الليل للغرام ، فهيا
نركب اللهو والجنون سويا
أقبلى ، أقبلى فإنىَ ظمآن (م)
وقد جئت أطلب الآن ريا

لا تقولى ابتعد ، فإنك ظمأى
صادفتْ فى القفار نبعًا سريا
إنَّ عينيك ترسلان ضياءً
مسكِر اللمح نام فى عينيا

أقبلى ، أقبلى نغنى مع الحب (م)
فننسى الآلام شيئًا فشيا
والحذار الحذار أن تسأليني
عن حياة أسقطتها من يديا

إننى قد خلقت فى لحظة التقبيل (م)
صبًا وشاعرًا عبقريا

ونعيمى ، متى شفاهك مالت
تبتغى ضجعة على شفتيا

* * *

أقبلى ، أقبلى أضمك للصدر (م)
وأدنيك من فؤادى مليا
واسمعى لحن قلبى الغامض الميل (م)
يدوّى ملء الضلوع دويا
أنا أهواك منذ ما شمتك الليلة (م)
تبكين بؤسك السرمديا
فى انفراد وعزلة تبعث الشجو (م)
وتضى فؤادى الشاعريا
لا ، ولكننى هويتك من قبلُ (م)
خيالاً فى الغيب يسرى خفيًا
قد هويت الشقاء فيك خفيا
وكرهت السرور سنك جليا

لست أبكى الآمال تذوى مع الزهر (م)

ولكن أبكى الجمـال الشـقيا

* * *

أقبلى فى الظلام نرقص للحب (م)

ونزجى له الغناء الشجيا

إننى قد سخرت من ساحر الدنيا (م)

يصب الأوهام فى أُذنيا

ليلةً للغرام ننسى بها الماضى (م)

طويلاً ونحقر المأتيا . . .

أسقطى رأسك الصغير على صدرى (م)

ونامى ، لقد تعبنا سويا

ضمنا الحب والشقاء فمن ذا

يفصم الآن وصلنا الأبديا ؟

فإذا ما هدأتِ والنوم أغراك (م)

تراجعت فى الظلام شقيا .

لستِ لى ، فاهدئى ، وما أنا إلا
عابرٌ ظامئ أطاف عشيا
إنه الليل قد أضل فؤادى
فركبت الجنون فيه غبيا

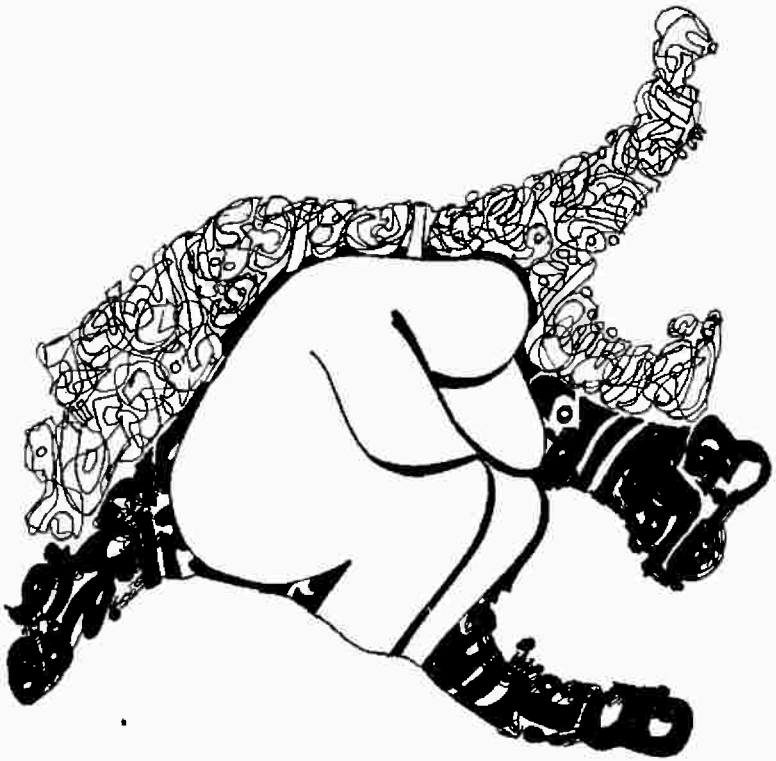

«يتمتم بها العاشق قبيل النوم»

أغنية...

يا من بها غنى دمى بهرًا ، وما باح فمى
يا فتنةً فى خاطرى ونشوةً فى أعظُمى
لولاك ، لم أسعد ولم أبلُ شقاء المغرم !
لولاك ، لم يجر لسا نى بالقريض الملهم

* * *

يـا وردةً لـشـمتهـا وعدتُ بالثغر الظمى
روحى فى القبلة قد طارت عليك ترتمى
يا ويح لى من عاشق مبلبل الفكر ، عمى
أعطيت رب الحب قر بانين : روحى ودمى
قد ربح الغنمين لكنْ أين ألقى مغنمى ؟
عندك يا حسناء فى قبلة ربّ منعم !!

غرفة الأحلام..

فى غرفة الأحلام ، أشواقُها
طارت على متن بساط المساء
تائهةً ، لا تعرف المنتهى
فى عالم الليل ، ولا الابتداء

ترقص فى الظلماء ، رقص الهوى
متى هوتْ فى ساحة الكبرياء
أشواقُها قد أعلنت سرَّها
وأقبلت عارية فى الهواء

ماذا عليها إن نضت سترها
ما دامت الغرفة قفراً خلاء ؟
يا غرفة الأحلام ، لا تكتمى
أشواقها ، إنَّا إليها ظماء !

بابك يا غرفة ، كم مرَّة
طفتُ به ، ألثمه فى الخفاء

لثم الحجيج الستر فى مكةٍ
أو لثم آيات الإله الوضاء
كم ليلةٍ ليلاء فى ركنه
أنفقتها ، فى جلسة القرفصاء
أرعد من برد الشتاء الذى
يقتل ، والجو بقلبى شتاء
أرهف أسماعىَ ، علّى بها
أقتنص الأشواق عبر الفضاء
وأبعث الأنفاس مثل اللظى
علّى بها أنظر باب الرجاء

* * *

يا غرفة الأحلام ، لا تبخلى
على محب مدنف بالعزاء
هيا ، ارفعى الأستار ، لا تفزعى
منى ، فإنّا فى التصابى سواء

هيا انقلى الأسرار ، لا ترهبى
مقول مفتون براه الدعاء
لا تكتمى الأخبار عن عاشق
مبلبل الأفكار ، جم العناء
أقصى أمانيه ، إذا ما غفا
أن يلثم الطيف ، ويحسو الضياء

* * *

ما يشغل العذراء فى نومها
وقد غفتْ ، فتانة الكبرياء ؟
قد بعثرت أنفاسها حولها
فعُطر الستر وطاب الهواءْ
الحب ما يشغلها ؟ ويحه !
وهل فؤادٌ منه أمسى خلاء ؟
الحب والحسن متى جُمعا
فى غادةٍ فاحذر عوادى القضاء

يا غادتى ، ليت الذى فى الهوى
عُلقته ، قلبى الطويل الشتاء
فقبلةٌ فى الحلم نحظى بها
تمحو جنايات الضنى والشقاء
يا ليتنى المحظوظ ، يا ليتنى .
فقبلةٌ فى الوهم باب النجاء

* * *

يا غرفة الأحلام ، أشواقها
قد نوَّرت فى الفكر كالكهرباءْ
لا ريب عندى أن أحلامها
تنسج للمعلول ثوب الشفاء

* * *

وحيد....

لقد مضى الناس كلهم ، وأنا
وحدى على النيل فى شجى عممِ
كم كنت أخشى البكاء بينهمو
والآن ، فليشرح البكا ألمى !
ضحكاتهم فى الفضاء صاخبةٌ
كالنار كانت تهيج ملء دمى !
لم ألق فيهم خِلاً أخا ثقةٍ
فهيم يشكون إنْ هجا قلمى !
يا ليل ، يا نيل ؛ يا سكون ، ويا
بدر الدجى ، رددوا إذن نغمى
ياما أحب البعاد عن زمر
يخبئون السمومَ فى الدسم !

نفى عناقًا...

كفى عناقًا ، فقد مللنا كفى غرامًا ، فقد سئمنا
لكم هرعنا إلى التلاقى فهل هدأنا لما التقينا ؟
وكم ظمئنا ثغرًا لثغر فهل هدأنا لما شربنا ؟
وكم نزعنا إلى عناق فهل قنعنا لما اعتنقنا ؟

* * *

يا فتنة الروح ، لا هدوء للروح ، إلا إذا افترقنا
لكم عشقنا ، وكم صبرنا فما علينا إذا هدأنا !
وما علينا إذا انفصلنا وما علينا إذا اختصمنا !

* * *

كفى عناقًا ، فقد جننا وقد مضى الحب مطمئنا ،
هذا سبيلى الجديد ، فيه أسيروحدى ، عسانى أهنا
فيا شبابى ، إليك عنى ويا غرامى ، كفاك طعنا
ويا حياة الفؤاد ، مهلاً لا تقربى ، فالظلام جنا
لقد طويت الغرام طيا فلست مجنونك المعنّى
قد مات حى وهل عجيب موت الذى ربه سيفنى !

لا تجزعى ، فالمهات حق ... إنا لذاك الردى خلقنا !
وما هو انا فى العيش ، إلا ... خيال جن بالسخر جنا
يا فتنتى قد كرهت حبى ... قبّح هذا الغرام سجنا
قيّد فكرى ، فلم أطالع ... سواه فيما تلوت معنى
وصد قلبى عن كل وحى ... من طلعة النيرات أسنى
إذن لنمض من حيث جئنا ... فقد قضى الحب مطمئنا
كفى عناقا ، فقد مللنا ... كفى غراماً ، فقد سئمنا

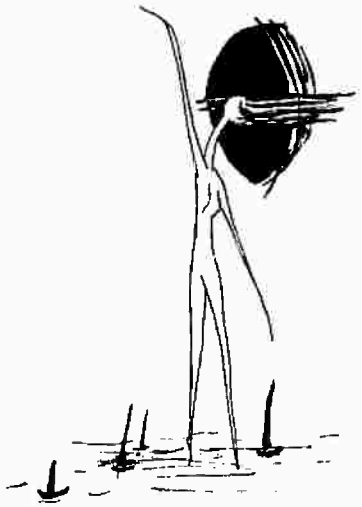

كنتُ ثم أصبحت

لم أعد كالناس ألقى العيش مطلول الأمانى
لا ولا أطرب للأشعار أو وقع المثانى
لا ولا أظمأ للخمرة من ريق الحسان

لا ولا أبسم للأطيار تشدو فى الجنان
فكأنى لم أكن بالأمس . فياض الحنان
أنظم الأشعار من روحى ومن وحى افتنانى

خالصًا من ريقة الأسر ومن عبء كيانى
طائراً كالبلبل المجْدود سحرىّ . الأغانى
فى سموات الخيالات وآفاق المعانى

هاتفًا بالحسنِ ، عربيدًا إذا الحسن دعانى
قد لويت اليوم عن مهزلة العيش عِنانى
ومحوت البشر من عينى وقلبى ولسانى

لم تعد تكرثنى الآلام يزجيها زمانى
لا ولا تفتننى الأحلام فى وصل الغوانى

لا ولا المجد الذى من أجله كنت أُعانى

* * *

أنت لا تنظرنى يا صاحبى حين ترانى
إنما تنظر فى وجهىَ أطلالَ الأمانى

* * *

«كادت هذه الصورة القديمة أن تحرك حيا قبره صاحبه منذ عام ، ومزق ذكرياته فى نفسه ، لولا بعض الصلابة التى دفعته إلى تمزيق الصورة ، كما مزق ذكريات صاحبتها فى قلبه من قبل» .

بعد عام :

الصورة الممزقة!!

أى لحن معطل تعزفينا ؟
أى ذكرى رميمة تبعثينا ؟
أىَ بشر محطم تنشرينا ؟
إننى خلتُ كل هذا دفينا !

* * *

بسمةٌ منك بدّدتْ غيمَ نحسى
فبدا حاضرى سعيدًا كأمسى
ونقلتُ السرور منها لكأسى
وشربتُ الخيال ، فانجاب بؤسى !

* * *

مرَّ عامٌ مذ احتسبنا الغراما
ودفناه فى الظلام غلاما
قد أسأنا ، فما حصدنا السلاما
بل بذرنا السقام والآلاما . . !

* * *

زهرة الشوق أينعت ملء صدرى
وذكا عَرْفُها يخدر فكرى
فصحا الوهم إثرَ طيفك يجرى
أىُّ شىء يهفو له ؟ لستُ أدرى !

* * *

كيف مرَّ العام الطويل عليك ؟
مرَّ جمَّ السرُور ؟ أم مر يبكى ؟
أم سخيا يزجى القلوب إليك ؟
أم شحيحًا يلوى المحبين عنك ؟

* * *

أى نهر مقدس تعبرينا ؟
أى موج من الهوى تركبينا ؟
أى جند من الورى تملكينا ؟
أى زهر من المنى تقتلينا ،

* * *

هذه الصورة التى ذكرتنى
عهد ذاك الغرام قد أنقذتنى
فلأُمَزِّقْ رسم التى مزقتنى
وسَعَتْ حرةً وقد حطمتنى

* * *

ولأمزق من خاطر كل ذكرى
ولأعش مطلق المشاعر حرا
لا أرى فى الوزود والزهر عطرا
لا ، ولا فى الوجود حسنًا وسحرا

«مرفوعة إلى الزعيمة العظيمة هدى شعراوى
هانم بمناسبة عودتها من المؤتمر النسوى
بالاستانة».

أبريل سنة ١٩٣٥

المرأة الجديدة

سلام الشباب ، سلام الخلود
سلام القريض ، سلام الجمال
إلى بطل لم يزعْه النزال
ولم يخش فى الحق وثب الضلال

إلى «منقذ المرأة» المستعز (م)
بدرع من الحق ضافى الجلال
إلى المَلك المسعد الأريحى
كريم الخيال ، عظيم النوال

إلى (قاسم) ، قدوة المصلحين
عدوِّ الجمود ، الجرىء المقال

فتًى ، لو أحب متاع الحياة
لما قال للحادثات نزال
وما ناصب الجامدين العداء
وقارعهم مخلصًا فى النضال

حياة الفتى سنة فى الكرى
إذا أقفرتْ من عزيز المنال

* * *

أيا قاسمٌ ، قم وحى النساءَ
يحاولن فى مصر سبق الرجال
تبوَّأن فى الفن أسمى مكانٍ
ونلن من العلم أقصى منال
هبطن ملائكةً من حنان
وطفن علينا بسحرٍ حلال
وروحن عنا هموم الحياةِ
وأنقذننا من ظلام الملالِ
فيا سفورٍ أدال الظلامَ
وأقماره أشرقت فى اكتمال
إذا المرأة انتبذتْ فى الظلام
فويلٌ لنا من عمالها العضال !

أحييكِ ألفًا فتاة السفور
وأهجوكِ ألفين ذات الحجال
لمن خلق الله هذا الجمالَ
إذا حبسوه يجب الضلال ؟
ألا إن فى الحبس ميلاً إلى الشر
ينذرنا بوبيل المآل !
وكيف ترى أمةً نصفها
صحيحٌ ونصفٌ حليف اعتلال
إلى النور يا باعثات الأمانى
إلى النور يا خازنات الجمالِ
إلى المجد ، فلنمش جنبًا لجنبٍ
فريق النساء ، وجيش الرجال

* * *

أدارَ الخلافة[1] ! ماذا شهدت
من الخرَّد الرائعات الجمال

ويا قصر (يلدز) ، ماذا سمعت
من الخطب الرائعات الطوال
وكيف تلاقت بساحك روما
بهندٍ ، ومصرُ بصينٍ وغال[٢]

إذا أعوز السلم ، فلتبتعثهُ
حسانُ الجنوب وبيضُ الشمالِ
ألا إنهن قوام الأمور ،
دعاة السلام ، عداة النضال !

ويا قصر «يلدز» هلا وعيت
من الدهر ما قال من غير قال ؟
ألاَ إن للدهر وعظًا صريحًا
يردده ساخرًا لا يبالى ..

يقول لك الدهر : هذى النساءُ
اجتمعن لحرب الهوَى والضلال

فلسن النساءَ ملأن الحريم
وسربلن فى رحبه بالدلال
وعاقرن فيه فنون الجنونِ
وجُرِّعن فيه كؤوس الوبال . .

وعشن مع الليل ، أسرى المقاصير(م)
يزفرن فى لوعةٍ واشتعالِ
تعانق أنفاسهن الظلام
ويبثثن للعود ، ظلم الموالى

فينطلق العود فى لوعةٍ
يخفف عنهن عِبء الليالى !
وربَّ غرير الهوى جاهل
يرى أنة العود بشرى الوصال ؟

فيفتك كالذئب ، ما من حرام
إذا هتف الجسم أو من حلال !

لك الله يا بنت سلطان أنثى
لها سطوة الليث عند النزال
قضت دهرها فى كفاح الضلال
وضحت بجاه ، وأودت بمال
« هُدًى » أنت مبعوثة بالهدى
فلا تحرمى الناس خير الفعال . .
أراكِ فأقبس منك اليقين
وأنهل منك فنون الخيال . . . !
إلى الحق سيرى ، ومن يتخذْ
إلى الحق نهجًا ، يفزْ فى النضال !
مباركةَ السعى ، ميمونةً
مؤزرةَ القلب فى كلِّ حال

---

(١) الاستانة حيث قام المؤتمر بقصر يلدز الخالد
(٢) الاسم التاريخى لفرنسا

« بمناسبة إسناد إدارة الفرقة التمثيلية القومية
إليه فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ » .

إلى شاعر الأقطار العربية

« خليل بك مطران »

تقهقر الشك وساد اليقين
ولاح ضوء الفجر للمدلجينْ
يا راكبى الليل ، مضى خوفكم
هل غير نور الشمس ما تنشدون

مرحى ، أمير الشعر ، ما من فتىً
يجهل ما أسديته للفنون !
بعثتَ للتمثيل فى مهده
أروع ما أنتجه النابغون

فقام «شكسبير» فى أُمةٍ
تخاصم الجد ، وتهوى المجونْ
يُحرك الغيرة فى عَيطلٍ[1]
ويبعث العبرة من ديدمون

وسقت «كورنى» على طبعه
أخا قناةٍ حرةٍ لا تلين

الحق ما قال ، وإن خالفتْ
شروحه ما يألف الجامدون
غوثك يا مطران ، إن الهوى
يعصف بالفن وبالخادمين

ومحنة قاضية أوشكت
تعصف بالبانين والهادمين !
ولوثةٌ فى الفن مذمومة
تنكرها الآذان قبل العيون !

يا هادى الركب ، وُقيت الظنون
طهِّر جمال الفن مما يشين
واستخلص العبرة مِمَّا مضى
وانشر على الدنيا شعاع اليقين

وكُن على الشرق منار الهدى
يُجدد الماضى ، ويُحْيى الدفين !

مطران ، يا مطران ، ما من فتىً
يجهل ما أسديتَه للفنون
مهما مضى الشادون فى نظمهم
يعددون الفضلَ لا يبلغون !
وإن بدت فى شعرهم روعة
فمن سنى شعرك ما يبدعون !
الدهر يشدو مستعزا بما
تبدعه للفن فى كل حين !

(١) عيطل هو عطيل بطل الرواية المسماه باسمه وديدمون هى ديدمونه حبيبته .

تحية صاحب «الزورق الحالم»

قصيدة للشاعر الكبير

الأستاذ حسن كامل الصيرفى

أحد مؤسسى جماعة «أبوللو»

تحية إلى الأخ النادر فى وفائه الشاعر الكبير صاحب ديوان «الزورق الحالم» الدكتور مختار الوكيل .

حسن كامل الصيرفى

الزورق الحالم

يا شقيق الرُّوح ، يا صِنْوَ الفؤادْ
ومثالاً لإخاءٍ غَيْر غَادْ
جَمَّلَ الله به أيَّامنَا
إذْ تلاقينا على صَفْوٍ وِدادْ

حين كان القلبُ مشبوبَ اللَّظى
والشبابُ الغض محلول القِيَادْ
حين كُنَّا والدُّجى من شَعْرِنا
يَسْرِقُ اللَّمْعَة حينًا والسَّوَادْ

والأمانيُّ بعيداتُ المَدَى
خَلْفَ آفاقٍ من الحُلْم بُعَادْ
«وأبولُّو» جنَّةٌ وارفةٌ
لا يُرَدُّ الطَّيْر عنها أو يُذَادْ

الأغاريدُ بها يُنْشِدُها
كلُّ صدّاح على الغصن وشَادْ

أَلَّفَتْ بَيْنَهُمُ فانْطَلَقَتْ
نَغَمَاتٌ فى انسجامٍ واتِّحادْ
مِنْ مَعَانٍ مُسْتَجدات الحُلَى
وصياغاتٍ قَويماتٍ جِيَادْ
وحِفاظٍ لتُراثٍ خالدٍ
ذَلَّلَ الأجيالَ واستعلى وسادْ
يا رعاها الله أيَّامًا مَضَتْ
حين لم نعرفْ مع الليلِ الرُّقَادْ
حينَ كُنَّا نُوقِظ النَّجم إذا
حاولَ النَّوْمَ ، ونَسْتَذكى الزِّنَادْ
شعلةً كنَّا ، ولم تَخْمُدْ لنا
جذوةٌ منذ أضاءت فى اتِّقَادْ

* * *

وفَتىً كالفُلِّ فى إطْلالَهِ
من «أَجَا»[1] جاء إلينا فى رشَادْ

شاعِرٌ فى سَمْتِه فى لفظهِ
فى ابتساماتٍ على الثَّغرِ بَوَادْ
حرَّكَ القيثارَ فى غضِّ الصِّبَا
فأثارَ اللَّحْنَ منها وأجادْ
رائِدٌ فى زَوْرَقٍ من وَحْيِه
حالِمٍ ، والموجُ مَهْدٌ ووسَادْ
بَعْثَرَ الليلُ رُؤَاه فى الرُّبَى
حينما كَحَّلَ عَيْنَيْه السُّهَادْ
كلَّما أنَّ التَقَتْ أَنَّاتُهُ
بلُحونٍ ضعْنَ فى تلك الوهَادْ
زمنٌ كانَ . . . وما أحلى الصَّدَى
وهو يَرتد إلينا ، ويُعَادْ !

* * *

أنتَ يا «مختارَ» أحبابٍ هُمُ
خَيْرُ ما يحفظ قَلْبى من عَتَادْ

لم تُغَيِّرْكَ سنونٌ عَبَرتْ
بينَمَا غَيَّرْنَ أحوال البلادْ !

الصديقُ الصِّدْقُ لم تذهبْ به
نَفْخَةُ المنْصِبِ أو طول البِعَادْ

مُخْلِصٌ فى حُبِّه إخلاصَه
للأَماناتِ ، وكم خانَ السَّوَادْ

كم صداقاتٍ كأحلام الكَرى
قد تَوَلَّيْنَ مع النور بَدَادْ

أَنْفسٌ إيمانُها فى حُبِّها
هَزَّ تَقْواهُ جحودٌ وارتدادْ

أَنْفُسٌ أستغفرُ الله لها
فهى لا تَعْرِفُ إلاّ مَنْ أفاد

وتبيعُ الحُبَّ فى سوق الهَوَى
وتهين الوُدَّ فى سوق الكَسَادْ

تركَتْ فى النفس جرحًا وأَسىً
عزَّ للجرح الذى جثنَ الضِّمادْ
وأرى وُدَّكَ لحنًا خالدًا
رائِعَ النَّغْمَةِ عَذْباً يُسْتَعَادْ
بل أرى وُدَّكَ نَبْعًا جاريًا
من يَذُقْهُ عَبَّ منهُ واستزادْ
يا رعاكَ اللهُ ذُخرًا لأخٍ
زادُهُ الحُبُّ ، وما أغناه زادْ

* * *

يا أخا العمر الذى شاركته
رحلةَ الأيام كشْفًا وارْتيادْ
كم قَطَعْنَا فى الدياجى من خُطًى
سَلِمَتْ رغم الأعاصير الشِّدَادْ
نَحْمَدُ الله على أنّ الدُّجى
لم يُغَشِّ النور فيها بالسَّوَادْ

الإباءُ الشامخُ الرأسِ مَشَى
لم يُطَأْطِئْ ذات يومٍ لفسادْ
لم نُطَبِّلْ أو نزمِّرْ للدُّمَى ،
للشياطين ، لأصنامِ العِبَادْ
لم نُنافِقْ ، لم نُداهِنْ ، لم نَقُلْ
غير ما نُبْطِنُ أو يطوى الفؤاد
حفِظَ اللهُ زمانًا لم تَزَلْ
منه أنغامٌ وعِطْرٌ وعِهَادْ
لم يَنَلْ من عزمنا الشَّيْبُ ، ولم
تَهْدَأ الثورةُ فينا والجهادْ
ورعاكَ اللهُ فيما تَنْتَوِى
وتولَّى كل خَطْوٍ بسدَادْ

حسن كامل الصيرفى

---

(١) أجا (دقهلية) هى موطن الشاعر ومسقط رأسه .

فهرست

	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى	٦
هلم يا نای	٩
الجدول الحالم	١٣
إلى لطفية النادى	٢٣
تحدثى يا راهبة	٢٧
الربيع الوفى	٢٩
إلى جانب المدفأة	٣٣
الزائرة المجهولة	٣٥
نظرة !	٣٩
الجمال الشاعر	٤٥
الدخيل المعتدى	٤٧
ليلة الأهرام	٥٥
البدر الحائر	٥٩
يا طبيب	٦١
غرفة الذكرى	٦٥
إلى السماء	٦٩
العمر حلم	٧٣
لحظة فى الجنة	٧٧
الملاك النائم	٧٩
بين الجسم والروح	٨٣
قال فاخرج منها فإنك رجيم	٨٤
يا أم	٩٣
الوادى الحزين	٩٧
فى الريف بعد عام	١٠١
ذكرى الشابى	١٠٥
الزورق الحالم	١٠٩
عندما تنضب موسيقى حياتى	١١٧
العائدة	١٢١
إلى صورتها الحبيبة	١٢٥

	الصفحة
ثورة	١٢٩
ليلة النيل	١٣٣
النوى	١٣٥
وا شقائى	١٣٧
وحى الظمأ	١٤٣
أغنية	١٤٩
غرفة الأحلام	١٥١
وحيد	١٥٧
كفى عناقا	١٥٩
كنت ثم أصبحت	١٦٣
الصورة الممزقة	١٦٧
المرأة الجديدة	١٧١
إلى شاعر الأقطار العربية تحية صاحب « الزورق الحالم »	١٧٩
	١٨٣

رقم الإيداع	١٩٨٤ / ٤٧٨١
الترقيم الدولى	ISBM ٩٧٧-٠٢-٠٩٨٤-٨

١٦٤ / ٨١ / ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)